دراسة ونقد في الغزل ومعاييره

الدكتور سيد حيدر الشيرازي
جامعة الخليج الفارسي - بوشهر

التمهيد

إن كلمة الغزل، أكثر ما تحمل هو المعنى السلبي، لأنه كما قال عنه ابن سيدة يعني: «اللهو مع النساء» (الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٥)، فمن معانيه المعروفة هي محادثة النساء ولفظه حسب قول قدامة يشعر بـ«التصابي والاستهتار بمودات النساء ويقال في الانسان انه غزل: اذا كان متشكلاً بالصبوة التي تليق بالنساء وتجانس موافقتهن بالوجد الذي يجده بهن الى أن يملن اليه...» (الجوهري، المصدر نفسه) والتغزل هو حكاية ما يجري بين الرجل والمرأة من اتصالات واحاديث وتصرفات.

فالغزل بهذا المفوم ليس له مكانة دينية في الاخلاقيات ولو كان جارياً في الخيال وكان بعيداً عن الافحاش والخنا. وانه مطمور ذكره في الاحاديث الشريفة ولم نجد لم أثراً في ادب اهل البيت عليهم السلام، لا قصيدة غزلية ولا مقطوعة شعرية في الغزل والتشبيب ولا غيرها في نص ادبي منهم (عليهم السلام).

فهذه من الامور التي لا يليق بشأن المخلصين الفانين في محبة الله عز وجل. ولكن الحب المنبعث من رحمة الله والمتجه في سبيله فانه ممدوح ومأمور به كل انسان.

والغزل الذي من دعامته الاولى التحدث الى النساء والتودد اليهن فانه لا يتحقق ذلك

عادة إلّا بتوفر الظروف لاختلاط المرأة مع الرجل من دون تحديد وحرج. فاذا لم توجد المرأة ولم يتبدَّ للرجل حسنها وجمالها الجذاب ولم تبد المرأة من جانبها ما يثير اعجاب الرجل بها بكلمات وعبارات مستعذبة ومستملحة أو مشية مغرية بغنج ودلال، او نظرة حب وحنان أو كشف الزينة والجمال، فلن يكون حديثاً وتبادل حب وغرام، ولكنه ثقيل لا تقبله النفس ولا يستريح اليه البال.

كذلك من جانب الرجل انه أو امتنع عن النظرة الى المرأة ولم يجتمع معها في الخلوة لم تنبعث عاطفته ولم تتهيج شاعريته. لان الدعامة الاولى للغزل لقاء الرجل مع المرأة.

وكانت الظروف كلها متهيئة لدى العرب الجاهليين وفيما بعد العهد الاسلامي فان المرأة الجاهلية لم تكن ملتزمة بالستر والحجاب وكان لها الحرية في ابداء الزينة ومشاركتها الرجل في كثير من اعماله في رعي الغنم ونضح الماء وفي البيع والابتياع وارتياد الاسواق واسواق الادب والحج الى بيت الله الحرام وكل ذلك مما ادى الى نشأة الغزل والاعتماد عليه في الشعر.

وفي ذلك يحدثنا ذوالرمة انه واخاه خرجا يبغيان إبلاً لهما في الطريق إذ وردا ماء وكانت بالقرب منه مية. رآها ذوالرمة، فهام بها في ديارها عشرين سنة. وفيها يقول:

وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت ابكي عنده واخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

(حسان ابورحاب، الغزل عند العرب، ص ١٩).

ومثل ذلك حدث للعديد من شعراء الغزل نحو كثير وابن ميادة وجميل بن معمر ونصيب وغيرهم. أليس هذا عمر بن ابي ربيعة يرتقب مواسم الحج، فاذا جاء ارتحل عمر الى مثابته واطلق طرفه، يتأمل، واذا به يكشف في المرأة مواضع حسنها وجمالها. واذا شعره يفيض بالحديث عن هذا الحسن، وذاك الجمال، نحو ما يقول من غزله في الحج:

أبصرتها ليلة ونسوتها ... يمشين بين المقام والحجر
بيضاً حساناً نواعماً قطفاً ... يمشين هوناً كمشية البقر

قالت لتسرب لها تلاطفها ... لنفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليعرفنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

(ابوالفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ١، ص ١١٠ و ١٨٠).

وكانت خرقاء العامرية في طريق الحاج وكان جمهرة من الشعراء يمرون بها، ويجدون من حسن وفادتها، ما تجد هي من غزلهم، ورقة أشعارهم وكل ذلك من اجل انها كانت تنكشف لم وتبدي لهم ما كانت لها من الزينة وعشرة الكلام. ومن هؤلاء ذوالرمة يقول فيها:

تمام الحج ان تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

(حسان ابورحاب، الغزل عند العرب، ص ٢٤).

فاذا كانت اركان الغزل تتمثل في هذا النوع من الاختلاط نرى ذلك عند ظهور الاسلام ينقلب تماماً وتوضيح ذلك ان المرأة اصبحت عورة في كثير من حالاتها وتصرفاتها الاجتماعية والدين الاسلامي قد حد منها بتحذيرات قوية وارشادات بناءة وتشجيعية، توقياً لاشاعة الفساد واثارة الفتنة. والتحديد ظهر في كيفية النظر[1] والمشي وزي اللبس والتستر والتكلم وغيره. وكانت هي من الأسباب الهامة المفضية الى ضعف واضمحلال الغزل في صدر الاسلام.

اعتماداً على هذا الموجز نتقدم هناك الى القارئ الكريم بأهم المعايير الايجابية المستهدفة للغزل، مستعيناً في ذلك بالنصوص الاسلامية في نقد ودراسة دينية.

معايير الغزل

١. الحب

ان المحبة خلقة ذاتية جبل عليها الانسان وليست له وصمة يعاب بها بل هي ميزة خلقية يمتاز بها عن كثير من المخلوقات الأخرى. وهذه المحبة منبعثة من الرحمة وتحبذ نشأتها ونموها بين المؤمنين لتأليف القلوب. كما يفضل التصريح به ما لم يمنعه مانع من التشهير والتضليل والاغراء والفتنة. يقال: ان رسول الله (ﷺ) مر ببعض أزقة المدينة

فسمع جواري لبني النجار ينشدن:

نحن جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال رسول الله (ﷺ) وأنا أحبكن. (الطوسي، المبسوط، ج ٨، ص ٢٢٥).

وهكذا الحب المتبادل بين أبناء الأسرة فانه رحمة من الله لعباده. والمصارحة به شكر وعبادة، فقد جاء في كتاب «ادب الحسين وحماسته» عن حب الحسين (عليه السلام) لسكينة والرباب قوله:

لعمرك انني لأحب داراً تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتبٍ فيَّ عتاب

ولست لهم وان عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب

(احمد صابري الهمداني، ادب الحسين وحماسته، ص ١٩).

فان الموضوع هنا قضية حب في طاعة الله، لا في معصيته وليس فيه انتهاك في حق الخالق او مخلوقه وانما هو احقاق الحق وتأكيد على توثيق المودة وتوقير المرأة مما يؤدي الى التئام الاسرة والحفاظ عليها. وهذا الحب هو المودة والرحمة اللتان وعد بهما الله سبحانه وتعالى للزوجين في قوله الكريم: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم / ٢١). والذي يؤكد عليه الروايات انما هو الحب وليس العشق لانه مذموم وحدّه حدّ الافراط فلا يليق بشأن المؤمن ان يكون عاشقاً أو معشوقاً لما فيه من عدم الكمال المطلق الذي يختص بذت الله تعالى فلا ينبغي إلّا له. والعشق له مرتبة فوق مرتبة الحب. والى ذلك يشير ابن تيمية في قوله عن مراتب الحب: «اوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب اليه، ثم الغرام، وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها: التتيم، يقال: تيم الله أي: عبدالله، فالمتيم: المعبدّ لمحبوبه» (محمود بن الشريف، الحب في القرآن، ص ٢٥). والجاحظ في رسالته الموجزة «في العشق والنساء»، يعرف العشق بأنه: «اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب، وليس كل حب يسمى عشقاً، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار، كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جوداً» (عبد الواحد مصطفى، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٤١).

والمقدار الذي يزيد عن الحب باسم العشق هو المستكره الذي يعمي ويصم ويهلك اذا كان بين عبدين من عباد الله وقد وردت فيه احاديث تنم عن ذلك. كما ان التتيم وهو العبودية، مختص بذاته تعالى ولا غير.

ان آخر مرتبة من مراتب الحب لله، ما كان فيه كمال الذل والعبودية له على لب من عقله وعفة من فكره وعمله، والعبادة المأمور بها العبد تتضمن كمال الحب، وكمال الحب يعني غاية الذل وخالص العبودية لله تعالى وهذا هو مرتبة التتيم الذي يفوق مرتبة العشق والذي سأله الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) كمالاً لعبادته بدعائه (عليه السلام): «واجعل قلبي بحبك متيماً» (الطوسي، مصباح المتهجد، ص ٨٤٩). واين هذا المعنى من نسيب كعب بن زهير في قصيدته «بانت سعاد» حيث يجعل نفسه معبداً تجاه اثر عشيقته الارضية الخيالية «سعاد» قائلاً:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

ومما تجدر الاشارة اليه انه ما كان دون العشق كالحب والصب يندب استعماله لافراد البشر وما كان فوق الحب كالعشق لا ينبغي التعبير عنه لاحد سوى الله عز وجل وقد ورد في الحديث ان رسول الله (ﷺ) قال: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر». (المجلسي، بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥٣) وبناء على هذا الحديث ان العشق مختص لله تعالى ولا يروق لغيره، ولهذا ان الزهراء (س) في مرثيتها لابيها (ﷺ) تعبر عن حبها بلفظ «الصب العتيد» وتقول:

ان حزني عليك حزن جديدٌ وفؤادي والله صبٌّ عتيدٌ

(محمد دشتي، نهج الحياة، ص ٢١٢).

فبما أن العشق تغلب سلبياته على ايجابياته، فلذلك لم نجد ان يتبادله أهل البيت (عليهم السلام) فيما بينهم وهم أهل الرأفة والمحبة. يقول علي بن ابي طالب (عليه السلام): «.. من عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها...». (نهج البلاغة،

خ ١٠٩) فحسب تعريف الامام (عليه السلام) ان العشق ينتهي الى العبودية المذلة للعبد والمزيلة للعقل. العشق الذي تاه فيه كثير من الشعراء المتغزلين مفتخرين به لجهلهم وهم غير متنبهين الى ضلالتهم. يقول الشاعر العاشق التائه، تعبيراً عن حبه المتيم:

صمت عن الاصوات من غير وقرة ... وانـي لأدنـى صـوتها لسـميع
شـفيعي اليـها قـلبها ان تـعتبّت ... وقـلبي لهـا فـيما عـتبت شـفيع
وقـد ظـفرت مـني بسـمعٍ وطـاعة ... وكـل مـحب سـامع ومـطيع

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ص ١٠٣).

وعن المفضل بن عمر قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن العشق فقال: «قلوب خلت من ذكر الله فأذاقها الله حب غيره». (الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٤). ولذلك يجب ان نحترز من مدح العشق وتزيين مباهجه فانه غير موافق للدين، ونشأته واستمراره عيب يزري بصاحبه، وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي:

يا هـند لم أعشـق ومـثلي لا يـرى ... عشـق النسـاء ديـانة وتـحرجـا
لكـن حـبي للـوصي مـخيم ... في الصدر يسرج في الفؤاد تـولجا
فـهو السـراج المسـتنير ومـن بـه ... سبب النجاة من العـذاب لمـن نـجا

(ابن شهرآشوب، المناقب، ج ٣، ص ٢٩).

ومن المؤسف ان نرى في مـجتمعاتنا الادبـية والمـهرجـانات الشـعرية والافـلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية التعليق الخاطئ على العشق ومـضامينه وتشـجيع الناس عليه والقاء هذا المفهوم بأن الحياة الزوجية الناجحة تبدأ بالعشق ولا غـير، وان المحبة بين الزوجين لو كانت منبعثة عن العشق قبل الزواج استدامت بعده وإلا يتضاءل لونها.

فاذا جاء النفي للعشق فلأن العاشق يحسب الكمال في الحبيب فيخضع له الخضوع التام ويجعله معبوداً لنفسه يسهر من اجله ويموت في سبيله ولا يعرف لغيره مكانة في قلبه بينما الكمال المطلق لله. فالعاشق الارضي يحب الحبيب كحب الله وهذه حالة منهيّ عنها في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ويحبونهم كحب الله﴾

(البقرة / ١٦٥) فالعشق حسب تعريفه ومرتبته وصمة يعاب به العباد اذا نشأ فيما بينهم ولكن بالنسبة الى الله الخالق الكامل المتعال فانه لا يذم به احد وهو ممدوح، بخلاف الحب الذي ينبغي سريانه بين أبناء البشر. فالعاشق والمعشوق بهذا المعنى كلاهما يعانيان ضعفاً في طاعة الدين وفقراً في الايمان. ولهذا لم يبق لقول بعض الشعراء وزن في تصوير مذهب المفتونين بالهوى ويقبح تمدحه بالعشق عندما يقول:

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهـوى ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فـما العـيش الا مـا تـلذ وتشـتهي ... وان لام ذو الشـنآن فـيه وفـندا

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٩٣).

لأن التفنيد لم يأت من تلقاء النفس حتى لم يؤخذ بمكانة لدى أتباع الهوى وانما الاسلام المعتمد على الفطرة السليمة يفّنده ويرفضه، ولأن العشق يورد الانسان موارد العصيان والهلكة، ومن اجله لا يبقى مجال في القلب لحب الله وجميل الشاعر العذري يبوح بسر عاطفته التي امتلأت بها مجامع قلبه بقوله:

حـلّت بـثينةُ مـن قـلبي بـمنزلة ... بـين الجـوانـح لم يـنزل بـها أحـد

(المصدر نفسه، ص ٣٢).

فإن مثل هذا المعنى لا يجاري الحب في الله لأن الحب الممدوح الذي يجاري حب الله هو ما سأله احب الخلق الى الله رسوله المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مناجاته لمـولاه العلي العظيم: «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وكل عمل يـقربني الى حـبك» (المجلسي، بحار الانوار، ج ٩١ / ١٤٨؛ وج ٤٥ / ١٨٤).

قال ابن تيمية: «كلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه العبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك» (محمود بن الشريف، الحب في القرآن، ص ٢٤). فمما لا شك فيه ان كلام الشاعر في البيت السابق مرتبة من الشرك، وهذا قد يطلق عليه في لسان اهل البيت عليهم السلام بالحب او العشـق الذي يـعمي ويُصم. وهذه جهة عميت عن النقاد خطورتها. ان قيس بن الملوح ـ اي مجنون ليلى ـ الذي يعتبر لدى البعض زعيم الغزل العذري، قد ذهب به الحب الى ان اختلطت عليه قبلته

ولم يدر كيف صلاته قائلاً:

أرانـي اذا صـليت يـممتُ نـحوها ... بـوجهي وإن كـان المـصلى ورائـيا
ومـا بـي إشـراك ولكـن حـبها ... كعود الشجى أعيا الطبيب المداويا
أصـلي فـما أدرى اذا مـا ذكـرتها ... أثـنتين صـليت الضـحى أم ثـمانيا

(ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ٢، ص ٢٢٢).

فكأنما الشاعر نسي في هذه الكلمات ان الحب قد أخذ بمجامع قلبه وانه التهى به عن ذكر ربه، وان الشرك او الإشراك الذي نفاه عن نفسه اخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ليلة ظلماء، وعلى هذا ما قاله الشاعر هو الإشراك بعينه. وبعيد عن الحق ما اعتقده البعض نحو ابن محيي الدين الجنّان في انه: «من خصائص الحب العذري البارزة انها توحيد لا إشراك فيه، فلا يعرف المحب سوى هذا الانسان الذي يملأ عليه نفسه ويملأ عليه حياته» (ابن محيي الدين الجنّان، مجنون ليلى بين الواقع والاسطورة، ص ٦٨).

وقد يرفد اعتبار الشرك في مثل هذه المفاهيم العذرية قوله تعالى في ان القلب لا يستوطنه إلّا حب واحد وهو حب الله في قوله الكريم: ﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ (الاحزاب / ٤). وان جميل بن معمر يقر بأن له قلباً واحداً وقف حبه فيه على حبيبته فحسب لأنه مشغوف بها ولا مجال في قلبه لحب أحد غيرها، وهذا يدل على انه يدخل فيمن قال الله تعالى عنهم: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً ويحبونهم كحب الله﴾ (البقرة / ١٦٥). يقول جميل من غزله:

ولرب عـارضة عـلينا وصـلها ... بـالجد تـخلطه بـقول الهـازل
فأجـبتها بـالقول بـعد تسـتر ... حبي بـثينة عـن وصـالك شـاغلي
لو كـان فـي قـلبي كـقدر قـلامة ... فـضل وصـلتُك أو أتـتك رسـائلي

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ص ٢٨٣).

فانه لو كان قد بقي في قلبه مقدار ذرة فراغاً لحب الله لذكره في التعبير عن شعوره وعاطفته. قال الامام الصادق (عليه السلام): «القلب حرم الله فلا تُسكن في حرم الله غير الله» (المجلسي، بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٢٥).

وتظهر هذه الفكرة الخاطئة المضلة بلون جديد لدى البعض الآخر حيث يتمنى احدهم لو كان له قلبان، قلب الحياة يعيش به وقلب الهيام يضل ويهلك به ولكنه امر يستحيل تحققه كما مر آنفاً في الآية الشريفة، فمن هؤلاء، عمرو الوراق الشاعر العذري، وهو يؤمن بهذه الفكرة في قوله:

فلو كـان لي قـلبان عشت بـواحـد ... وخـلفت قـلباً فـي هـواك يـعذب
ولكـنما أحـيا بـقلب مـروع ... فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضى خوف هجرها ... وعـلمها حـبي لهـا كـيف تـغضب
ولي ألف وجـه قـد عـرفت مكـانه ... ولكـن بـلا قـلب الى ايـن أذهب

(يوسف اليوسف، الغزل العذري، ص ٦١).

ونحوه ما قال حمزة بن أبي ضيغم:

وبتنا خـلاف الحـي لا نـحن مـنهم ... ولا نـحن بـالأعداء مـختلطان
نـذود بـذكر الله عـن غـوى الصـبا ... إذا كـاد قـلبانا بـنا يـردان
ونـصدر عـن ري العـفاف وربـما ... شـفينا غـليل النـفس بـالرشفان

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٧٦).

فانه يود لو كان له قلبان، ليجعل احدهما مرعوياً عن الغواية واللذة في الشهوات بذكر الله ومحبته، ويخص الثاني منهما لارتواء النفس ببعض اللذات والشهوات.

والحاصل من الكلام انه قد تستكره المحبة الجارية بين أبناء المجتمع وأعضاء الاسرة لو تجاوزت الحد وبلغت مبلغ العشق وأصبح المحبوب احب الى العبد من الله. واستنكره الله تعالى بقوله الكريم: ﴿قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم و... أحب إليكم من الله ورسوله و...﴾ (التوبة / ٢٤).

٢. العفاف

ان العفاف امر مكترث به في الدين، والشعر الذي كان بريئاً عفاً او فيه تشجيع على فضيلة العفة ينبغي تعلمه وتعليمه حتى ولو اعتُزي الى شاعر جاهلي كهذا البيت العفيف

شعره وقد زوجها رجلاً غيره مما زاده حسرة والماً وعذاباً وجنوناً. ففي هذه الحكاية ليس فيها للصبر والتعفف موضع يمجده النقاد ويعرفونه بالغزل العذري العفيف. وانه يتجلى بأقبح صورة في علاقة جميل مع بثينة، يقول احمد حسن في كتابه «قيس بن ذريح شاعر العفة»:

«فهو ـ أي جميل ـ يزورها وهي متزوجة، في بيت الزوجية، ويقضي الليل، أو الليالي، مختبئاً، أو متوارياً متحدّياً زوجها وذويها والمجتمع وتقاليده، ثم يأتي الرواة ليظهروه بمظهر المظلوم المجني عليه، ويتحدثون بعد ذلك عن حبه العفيف! فأية عفة يرون في لقاءات جميل السرية حيث كان في خبائها ويأتي زوجها ومعه أبوها وأخوها فيختبئ جميل تحت متاع البيت، بعد إلحاح بثينة، ونامت كما نامت في فراشها...» (احمد حسن بسبج، قيس بن ذريح شاعر العفة، ص ٦٨).

فالعفة يجب ان يشتمل بها النظر والحديث واجتناب الخلوات المغرية: لا ان يقتصر فيه المتغزل على احتراز ما يوصف بالنزعات الجسدية. فهذا المعنى من العفة لم نجده في الهوى العذري الذي يقول عقاد في خصائصه انه: «لا يزال قانعاً على مدى الحياة بالنظر والحديث والمناجاة، وقد يتورع عن الملامسة والتقبيل» (ميخائيل مسعود، جميل بن معمر رائد الحب العذري، ص ٤٩) وكيف يمكن ان نطلق كلمة العفاف على ما يعتقده عباس بن الاحنف في قوله:

أتأذنـــون لصبٍّ فـــي زيـــارتكم ... فـــعندكم شـهوات الســمع والبـصر
لا يُضمر السوءُ إن طال الجلوس بـه ... عفّ الضـمير ولكـن فـاسق النـظر

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٧٦).

فهو يجري في هذه الابيات على اعلان العفاف واجتناب الكبائر مع المسامحة في الصغائر التي لا يخلو عنها العشق كالنظر والسمع.

وكذلك مقياس الدين في الصدق والوفاء والإخلاص والعفة يتفاوت عما تمسك به العذريون في غزلياتهم. لان العفة تتسرى في جميع شؤون العلاقات المتبادلة بين الرجل والمرأة ولا تنحصر في حياتهما ولا تتحدد في الطهر اللفظي او الجسدي ونزعاته، ولا

تتوقف على الاسلوب الفني.

ان الدين مثلاً لا يعترف بحسن الوفاء في عدم الزواج او الامتناع عن حب الغير بعد الوفاة، فالذي ذهب اليه البحتري وأمثاله، غير مقبول، من ان المحب يشتدّ قلقه حين يتفكر في مصير محبوبه بعد موته: هل يقيم على العهد أم يشتغل بسواه، في قوله:

أعـــظم الرزء أن تـــقدم قـــبلي ... ومـــن الرزء أن تـــؤخر بـــعدي
حـــذراً أن تكـــون إلفـــاً لغـــيري ... إذ تـــفردتُ بـالهوى فـيك وحـدي

(المصدر نفسه، ص ١٠٠).

لأن مثل هذه الغيرة غير موجهة وليس لها أي تبرير في كتاب الله عز وجل في قوله الكريم: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء...﴾ (البقرة / ٢٣٥)، والآيات الشريفة التي وردت في تعدد الازواج لمصالح تخص المجتمع والفرد.

كما انه يعتبر التقوى شرط الوصال بعد الموت للمتحابين او العاشقين. كما في قوله تعالى: ﴿الاخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين﴾[٢]. (الزخرف / ٦٧) فالحب في معصية الله نهايته يوم القيامة العداوة والفشل، ولكن الفكرة الجاهلية تؤمن بخلاف ذلك حيث يقول جميل:

تـــعلق روحـــي قـــبل خـــلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافاً، وفـي المـهد
فـــزاد كـــما زِدنـــا فأصـبح نـامياً ... وليس إذا مِـتنا بـمنتقض العـهد
ولكـــنه بـــاقٍ عـــلى كـــل حـالة ... وزائـــرنا فـي ظـلمة القـبر واللـحد

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٦٩).

فانه يبرر سبب نشوء عشقه ومواعيده السريّة وخلواته المغرية بالقضاء والقدر وبالعهد الذي أخذه الله من ظهور بني آدم ويؤمل نفسه ـ بزعمه الباطل ـ اللقاء بعد الموت ويوم القيامة. ان ابن داود في كتابه «الزهرة» ـ حسب ما ذكره مصطفى عبد الواحد ـ يستأنس لقول جميل وكأنما يستشهد بهذه الأبيات، ليثبت انها فكرة صادرة عن النظرة الاسلامية. ولكنها كما أثبتنا غير صحيحة وبعيدة عن الحق. وهذا الفكرة ظهر صداها في الكثير من أشعار العذريين نحو قيس وكثير وسواهما. وهذا جميل يحاول بوضوح في

موضع آخر، ان يستغل عقيدة القضاء والقدر ليبرر حبه ويدفع اللوم عن نفسه، فيلقي في الأذهان ان هيامه وغوايته قضاء من الله لا مفر منه، ولا حيلة لمن رزح تحت أعبائه، فيقول:

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة ... حبيب إليه في ملامته رشدي
وقال أفق حتى متى أنت هائم ... ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدي
فقلت له فيها قضى الله ما ترى ... عليّ وهل فيما قضى الله من رد
فإن يك رشداً حبها أغواية ... فقد جئته ما كان مني على عمد

(محيي الدين الجنان، مجنون ليلى بين الواقع والاسطورة، ص ٥٦).

ولكن استغلال هذه العقيدة كما هو بيّنٌ فكرة خاطئة ومنحرفة لا ينبغي نسبتها الى الدين لتبرير ما يقترفه العشاق من الذنوب صغيرة كانت ام كبيرة.

وليتضح الامر اكثر حول البحث عن الغزل العفيف ومراتبه، نواصل الدراسة حول الشريف الرضي وهو من رواد المدرسة العذرية، كان يترفع عن نوع من الغزل يستعمله الخلعاء او ما يشبه العبث والمجون، وكان يعتبر ذلك مخلاً بمقامه وشرفه لا غيره من الانواع الجميلة المشهورة، ولربما يستعصي عليه هذا الضرب الجميل ايضاً لأنه لا يمتزج بهواجس نفسه واخلاقه المنطبع عليها وهذا هو سبب الندرة في تغزله، ولكن ما نظمه من النسيب تجلوه الرقة وتعلوه العفة واي عفة هي التي تعلو قوله:

خلونا فكانت عفة لا تعفف ... وقد رفعت في الحي عنا الموانع
سلوا مضجعي عني وعنها فاننا ... رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

(الشريف الرضي، حقائق التأويل، ص ١٠٦).

ان غزله اتسم بالسمو والرقة والبراءة والصدق، فلم ينادم فتاة، ولم يتغن بمفاتن الجسد ولم يكن في صباه وشبابه مستهتراً يسامر الظرفاء والماجنين:

اضعت الهوى حفظاً لحزمي وإنما ... يصان الهوى في قلب من ضاع حزمه

وانه في موضع آخر يرد على من اتهمه بالخروج على أدب الاخلاق بقوله:

وأكذب بالتصون مدعيهم ... وألجم قائليهم بالعفاف

(المصدر نفسه، ص ٨٥).

فهو يسعى في عدة مواضع ان يبرئ نفسه مما اتهموه ويدعي لنفسه في غزلياته العفاف والبتة نحن لا ننكر ذلك كله ولكن نعتقد انه كان له الافضل ان يسلك مسلكاً يحافظ فيه على شأنه الرفيع ولا يتهبّط حتى قدر قلامة الظفر.

اشتهر الشريف الرضي بحجازياته ولكنه لم يسلم من سلبيات الغزل ومن صفات الشعراء المذمومين في قوله تعالى: ﴿الم تر انهم في كل واد يهيمون؛ وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ الشعراء / ٢٢٥ و٢٢٦. ان الرضي تفنن في الشعر ودرج في نماذج غزلية على السنن المألوف في غزل زمانه، من ذلك ذكر مغامرته التي اقدم عليها دون خوف او وجل حين قضى ليله مع من يحب يتبادلان العناق، ورشفات القبل يقول:

ورب يوم أخذنا فيه لذتنا ... من الزمان بلا خوف ولا وجل
بتنا ضجيعين في ثوب الظلام كما ... لف الغصينين مر الريح بالأُصلُ
طوراً عناقاً كأن القلب عن كثب ... يشكو الى القلب ما فيه من الغلل
وتارة رشفات لا انقضاء لها ... شرب النزيف[٣] طوى علا على نهل

(الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ج ٢، ص ٢٢٢).

لعله يتبادر الى الذهن انه تغزل على منهج قصيدة «بانت سعاد» في امرأة مبهمة خيالية لم يعرفها أحد والنبي (ﷺ) عندما انشده كعب بن زهير لم يستشكل عليه سوى السيف المسلول، ولكن الامر يختلف عن شاعر جاهلي منطبع ذاته بافكار واساليب جاهلية جاء ليبوح بإسلامه تواً، حذراً من الموت، من رجل مسلم عالم بالدين، نقيب الطالبيين ووالي المظالم وامير الحجيج. يقول النبهاني: «أما قصيدة بانت سعاد التي اتخذها دليلاً بعض من سلك هذا المسلك، واستحسنه، وهو في نفسه غير حسن، فهي لا تصلح دليلاً لذلك، لأن ناظمها كعب بن زهير، كان قبل إسلامه شاعراً جاهلياً، فنظمها على طريقتهم قبل أن يجتمع بالنبي (ﷺ) ويُسلم على يديه، ويعرف آداب الاسلام... ولم

يحصل مثل هذا التشبيب بعد إسلامه، ولا من أحد من شعراء النبي (ﷺ)». (محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ٣٢١ نقلاً عن المجموعة النبهانية ١ / ١٤).

اليس الشاعر الفذ المطبوع ذاته بحب اهل البيت عليهم السلام، كميت بن زيد الاسدي يتحاشى التقليد الغزلي ويستعف لفظاً ومعنى وخيالاً في تغزله مستهلاً قصيدته:

طربت وما شوقاً الى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنانٌ مخضب
ولا السانحات البارحات عشيةً أمرّ سليم القرن أم مرّ أغضب
ولكن الى أهل الفضائل والتقى وخير بني الحواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني أتقرب

(ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ١٧، ص ٢٩).

وقد كان الكميت اول من دعا الشعراء الى أن يصرفوا وجوههم عن الأطلال والدمن الى من هو أهم من الأطلال والدمن، فيقول:

فدع ذكر من لست من شأنه ولا هو من شأنك المنصب
وهات الثناء لأهل الثناء بأصوب قولك فالأصوب

(طه حميدة عبد الحسيب، ادب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجري، ص ٢٤٩).

هذا والشريف الرضي لا يقل عنه علماً ومعرفة وحباً بأهل البيت (عليهم السلام) إذا لم يكن اكثر. وهذا دعبل الخزاعي أو لم يستح من قراءة تشبيبه للإمام الرضا (عليه السلام) في مرثيته التائية المعروفة. فما الفرق بين كعب ودعبل؟ حيث لم يرعو كعب عن انشاد نسيبه وتشبيبه واحتشم دعبل من الامام (عليه السلام) وانصرف عن غيه؟

يقال: «انه لما دخل دعبل بن علي الخزاعي على الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال اني قد قلت قصيدة، وجعلت على نفسي ان لا أنشدها أحداً قبلك، فأمره بالجلوس وحتى خف مجلسه ثم قال له: هاتها: فأنشد قصيدته التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وليس هذا البيت رأس القصيدة، ولكن أنشدها من هذا البيت، ولما قيل له: لم بدأت بمدارس؟ قال: استحييت من الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ان انشده التشبيب فأنشدته المناقب ورأس القصيدة:

تجاوبن بالأزمان والظفرات نوايح عجم اللفظ والنطقات[٤]
حتى أتى على آخرها.... (الاميني، الغدير، ج ٢، ص ٣٦٢).

وثمة شاعر آخر طار صيته بمدائحه النبوية وهو البوصيري يفضل ان يكون نسيبه في ذرية النبي (ﷺ) فيترك البكاء على الاطلال وحب الديار والاحباء على سلك الغزل الجاهلي قائلاً:

ريحانتاه على زهر الرُّبا زهتا فما لقلبي وذكر البان والأثل
ريحانتاه من الزهراء فاطمة خير النساء ومن صنو الامام علي
إذا امتدحتُ نسيباً من سلالته فهو النسيب لمدحي سيد الرسل

(طه حميدة عبد الحسيب، المدائح النبوية، ص ١٤٥).

فإذن كان بالاحرى للشريف الرضي ان يترك ما يكره لشأنه وان لم يكن حراماً شرعاً انه حتى لم يسلم من التقليد المذموم في التغزل بالمذكر، ومما يبدو انه قد حاول التفنن والجري في حلبة الفنون الشعرية كلها، من ذلك ما ذكر له من غلامية في مقطوعة واحدة متألفة من خمسة ابيات يذكر فيها شوقه الى غلام قبل يده، فتمنى ان تكون شفتاه موطن التقبيل، كما تمنى ان تسمح له الفرصة بالخلوة به ليقضي ما يبغيه ولا سيما ان المال وافر، وتبدأ هذه القطعة بقوله:

ومقبل كفي وددتُ بأنه أومى الى شفتيّ بالتقبيل

وتنتهي بقوله:

من لي به والدار غير بعيدة عن داره والمال غير قليل

(ديوان الشريف الرضي، ج ٢، ص ٢٢٣).

وللشريف الرضي قصيدة ميمية وهي من اشهر حجازياته يتحدث فيه عن ماضيه ثم

العفاف في سبيله ولهذا جاء في الحديث عن السيد الجزائري في «الانوار النعمانية» انه: «من عشق فكتم وعفّ غفر الله له وأدخله الجنة» (حسن زاده آملي، رسالة نور علىٰ نور، ص ٣٠٣) وفي حديث آخر انه يموت في درجة الشهداء: «من عشق فكتم وعف وصبر فمات مات شهيداً ودخل الجنة» (ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٣٣، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦ / ٤٨). وعلى هذا نحن أخذنا موضع الكتمان كمعيار آخر للحب العفيف.

واما الحب فان المجاهرة به في ذاته امر مندوب لترابط القلوب في المجتمع وازدياد المودة الفطرية الطاهرة، والحب والحنان شيء اعتيادي ومستحسن في السنة الإلهية خاصة بعد الزواج، ومعترف به في قوله تعالى: ﴿ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ الروم / ٢١. لكنه لو أفضت هذه المجاهرة الى شيوع الفساد في الارض، انكرها الدين ورفضها في قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذاب أليم...﴾ النور / ١٩.

وعلى ذلك ينبغي للعاشق الذي شغفه الحب ان يكتم سره ولا يبيح به حذراً من الفتنة والعار لنفسه وغيره. فيلزمه عدم وصف خلق المحبوب او خُلقه وما فيه من الخصال المرتضاة، اذ ان ذلك اضافة الى فضيحة المحبوب وقومه الذين يحسبونها عاراً، يغري من علمها بالمشاركة للعاشق في هواه. وقد احسن الذي يقول:

ولستُ بواصف أبداً خليلاً ... أعرضه لأهواء الرجال
ومالي أشوّق عين غيري ... اليه ودونه ستر الحجال
كأني آمنُ الشركاء فيه ... وآمن فيه أحداث الرمال

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٩٥).

فيقبح اذن الوصف في مثل هذه الظروف المغرية فلا يليق بالمحب ان يفضي بذلك أو يبتذله الأسماع، ونعم القائل جميل بن عبد الله بن معمر العذري حيث يقول:

هل الحائم العطشان مستقيً بشربةٍ ... من المزن تروي ما به فتريح
فقالت فنخشى ان سقيناك شربة ... تخبر أعدائي بها فتبوح
اذن فأباحتني المنايا وقادني ... الى أجلي عضب السلاح سفوح

لبئس اذن مأوى الكريمة سرها ... واني اذن من حبكم لصحيح

(المصدر نفسه، ص ٩٦ نقلاً عن الزهرة لابن داود، ص ٧٤).

في هذه الابيات لم يكن التحذير على انكشاف السر دينياً او خوفاً من الله تعالى وانما كانت الخشية عرضية وتوقياً للموت ولذلك يصح التعبير في انه حتى بث الوجد ومكاشفة الحب ـ نظراً للآية الشريفة «ولا تواعدوهن سراً» ـ من الامور التي لا يجوزها الدين في الخلوة ان يجري بين محبين فضلا عن إفشائه بمسمع عن الناس إلّا اذا كان تعريضاً عن خطبة الزواج. ان الله عز وجل يؤكد على كتمان الحب وعدم ابرازه في سورة البقرة حتى لا تبقى ذريعة لاحد ـ منهم النقاد ـ ان يحسبوا الغزل العذري موافقاً لأسس الدين. يقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً...﴾ (البقرة / ٢٣٥).

في هذه الآية الشريفة ملاحظات هامة تستلفت النظر في تقييم العذريين وكيفية تصرفاتهم في اضمار الحب، و اسراره، وهي فيما يلي:

أ) ان الحب شيء ذاتي وذكر النساء امر منطبع به ذات الإنسان، والله عز وجل لا ينهىٰ عن امر تقضي به الغريزة الفطرية بل يجوزه وهذا من الموارد البينة في ان الدين مبني على اساس الفطرة. فالذي يخطر في البال ويعزم عليه القلب في الرغبة الى الزواج من النساء لم تكن معصية ولا حرج فيه. وهذا ظاهر في قوله عز وجل: ﴿او أكننتم في أنفسكم علم الله انكم ستذكرونهن﴾.

ب) في علم الله سبحانه وتعالى ان الانسان مخلوق ضعيف لا يطيق الكتمان دائماً فعلى هذا أباح له في المرحلة الاولى التعريض بالحب وعدم التصريح به ولكن بدافع الخطبة. والائمة عليهم السلام ضربوا أمثلة عديدة لهذا التعريض منه ما روي عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: «يلقاها فيقول: اني فيك لراغب، واني للنساء لمكرم، فلا تسبقيني بنفسك» (محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ج ١، ص ٣٦٣). وهذا ما جاء في قوله: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء».

ج) انه لا يجوز التعريض بالحب في الخلوة لأن الخلوة بين الرجل والمرأة تجر الى ما لا يرضى الله كما في الحديث انه ما اختلى رجل وامرأة إلّا وكان الشيطان ثالثاً لهما. اما اذا كان الرجل على اليقين بأن الخلوة لا تسبب له الفتنة ولا يخاف فيها الريبة جاز له الاعلان عن خطبته بالتعريض في الخلوة واذا اراد التصريح بالحب فعليه ان يكون كلامه بشكل معروف يتفق مع الآداب الاجتماعية والامور الاخلاقية فلا يخضع بالقول مهيجاً ولا يخلق جواً مستنكراً عند المهذبين في العلانية، ولا يعرض لها بالفسوق ولا يعدها بالرفث. وهذا ما يستوحى من قوله تعالى: ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾.

وبهذا الشأن يذكر السراج في كتابه «مصارع العشاق» حكاية طريفة عن عبد الواحد بن زياد الافريقي عن أبيه انه قال: سمعت شيخاً من أهل العلم يقول:

كان عندنا فتى متعبد حسن السيرة فأحبته جارية من قومه وجعلت تكاتم أمرها مخافة العيب، فمكثت بذلك حيناً فلما بلغ الحب منها أرسلت اليه بكتاب وضمنته هذه الأبيات:

تطاول كتماني الهوى فأبادني ... فأصبحت أشكو ما ألاقي من الوجد
فأصبحت أشكو عفة من جوى الهوى ... أقامت فما تعدو الى أحد بعدي
فها أنذا حرّى من الوجد صبة ... كثيرة دمع العين يجري على خدي

قال: فأقبلت به امرأة فقال: ما هذا؟ قالت: كتاب أرسلني به اليك انسان. قال: سمّيه، قالت: اذا قرأته سميتُ لك صاحبه، فرمى به اليها وأنكره انكاراً شديداً، فقالت له ما يمنعك من قراءته؟ قال: هذا كتاب قد أنكر قلبي. فلم تزل به حتى قرأه، فرفع رأسه اليها فقال: هذا الذي كنت أحذر وأخاف. ثم دفعه اليها فقالت: أما له جواب؟ قال: بلى. قالت وما هو؟ قال: تقولين لها: ﴿فانه يعلم السر وأخفى، الله لا اله إلّا هو له الأسماء الحسنى﴾ (طه / ٧ و ٨). قالت: لا غير؟ قال: في هذا كفاية، فمضت اليها فأخبرتها بما جرى بينهما فكتبت اليه:

يا فارغ القلب من همي ومن فكري ... ماذا الجفاء فدتك النفس يا وطري
ان كنت معتصماً بالله تخدمه ... فان تحليلنا في محكم السور

فلما وصل اليه الكتاب قال: ما هذا؟ قالت تقرأه، فأبى. فلم تزل تلطف به حتى فتحه فقرأه ثم رمى به اليها، فقالت ما له جواب؟ قال: بلى. قالت: ما هو؟ قال: قولي لها: «وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار» الانعام / ٦٠. فصارت اليها فأخبرتها بما جرى، وبعد أن ذكر شعراً منها اليه، كتب اليها كتاباً كان هذا الشعر آخره:

انـي جـعلت هـمومي ثـم أنـفاسي ... في الصـدر مـني ولم يـظهره قـرطاسي
ولم أكـن شـاكياً مـا بـي الى أحـد ... انـي اذاً لقـليل العـلم بـالناس
فـاستعصمي بـالله مـما قـد بـليت بـه ... واستشعري الصبر عـما قـلت بـاليأس
انـي عـن الحب فـي شـغل يـؤرقني ... تـذكار ظـلمة قـبر فـيه أرمـاسي
فـفيه لي شـغل لازلت أذكـره ... مـن السـؤال ومـن تـفريق أحـلاسي
وليس يـنفعني فـيه سـوى عـملي ... هـو المـؤانس لي مـن بـين أنـاسي
فاستكثري من تقى الرحمن واعـتصمي ... ولا تـعودي فـبي شـغل عـن النـاس

فلما قرأت الكتاب أمسكت وقالت: انه لقبيح بالحرة المسلمة العارفة مواضع الفتنة كثرة التعرض للفتن، ولم تعاوده. (مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ص ٣٣١ نقلاً عن مصارع العشاق، ص ٤١٥).

ان هذه القصة تنم عن جوانب كثيرة مما نحن بصدد اثباته من كتمان الحب وعدم مواعدة السر والالتزام بالتقوى. والحدود المباحة في تبادل الحب والقول بالمعروف كله عفاف من جانب الرجل. ومن المؤسف ان لا نرى ما يشبه في طريقة الشعراء العذريين اكثرهم. هذا واحياناً يتبدى العفاف والاعتصام من جانب المرأة وذلك ما روي عن ابي جعفر محمد بن عبد الله بن يزيد عن أمه عن أبيها أنها سمعته يحدث اخواناً له قال:

«أحببت جارية من العرب وكانت ذات عقل وأدب، فما زلت أحتال في أمرها حتى اجتمعت معها، في ليلة مظلمة شديدة السواد في موضع خال، فحادثتها ساعة ثم دعتني نفسي اليها فقلت: يا هذه قد طال شوقي اليك. فقالت: وأنا كذلك، فقلت لها وقد عسر اللقاء، قالت: نحن كذلك. قلت: هذا الليل قد ذهب والصبح قد قرب قالت: وهكذ تفنى الشهوات وتنقطع اللذات، قلت لها: لو أدنيتني منك؟ فقالت: هيهات انى أخاف العقوبة من

الله تعالى. قلت لها: فما الذي دعاك الى الحضور معي في هذا المكان؟: قالت: شقوتي وبلائي. قلت فمتى أراك؟ قالت: ما أراني أنساك، وأما الاجتماع معك فما أراه يكون، قال: ثم تولت من بين يدي فاستحييت مما سمعت منها، فرجعت وقد خرج من قلبي ما كنت أجد من حبها ثم أنشأت أقول:

تـــوقت عـــذاباً لا يـــطاق انـــتقامه ... ولم تأت مـــا تـــخشى بـــه أن تـعذبا
وقالت مـقالاً كـدت مـن شـدة الحـيا ... أهـيم عـلى وجـهي حـياً وتـعجباً
ألا أف للـحب الذي يـورث العـمى ... ويـــورد نـــاراً لا تـــمل الـتـوثبا
فـاقبل عـودي فـوق بـدئي مـفكراً ... وقـد زال عـن قـلبي العـمى فـتسربا»

(المصدر نفسه، ص ٣٣٢).

قال: فلم أر امرأة كانت أصون منها لدينها ولا أعقل.

هذا الحوار الطريف يلقي الضوء على جوانب أخرى من ميزات الحب العفيف وطريقة كتمانه والتعفف فيه. فان المرأة تعترف بأن الحب الذاتي ورغبتها فيه هو الذي جرها الى هذه الخلوة لكنها يبدو عليها القلق والندامة بتعبيرها انها شقوة وبلاء. وليس الاضطراب الآخذ بقلبها خوفاً من الوشاة او الفضيحة وانما هي مرتعدة خشية من عـقاب الله الذي يعلم السر وأخفى. ولم تعد تخلو به بعد ذلك في مثل هذا الموضع وهي سوف لا تنساه ولم تزل تحبه كما قال تعالى: ﴿أو أكننتم في أنفسكم علم الله انكم ستذكرونهن﴾. ان التصريح بالحب من جانب الرجل كان مثيراً ومتجاوزاً عن الحد وبعيداً عن المعروف لكن المرأة تعففت والرجل لعدم استمرار اللقاء واتخاذ سبيل العفة غني عنها بفضل الله. كما وعد الله سبحانه عباده العشاق في قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾ النور / ٣٣.

وكتمان السر لا يستحسنه اصحاب العذرية فانهم قد اشترطوا المصارحة بالحب وبث الوجد ولوعة الشوق في الغزل ليؤثر في نفوس السامعين غافلين عن تبعات ذلك خلقياً واجتماعياً، ولذلك حبذوا غزليات قيس بن الملوح الملقب بالمجنون لمصارحته بحب ليلى على مسمع من الناس واما ليلى فهي قد كانت معذبة بحب قيس ولكنها كتمت هذا

الحب خوف الوشاة وأهل الحسد وتقول في ذلك:

لم يكـــن المـــجنون فـــي حـــالة ... إلّا وقـــد كـــنت كـــما كـــانا
لكـــنه بـــاح بســـر الهـــوى ... وانـــــني قـــد ذبت كـــتمانا

(محمود حسن ابوناجي، الرثاء في الشعر العربي، ص ٣٤٣).

ان تكاتم الحب من جانب ليلى في هذين البيتين ممدوح بخلاف مكاشفته من قبل مجنون. وعلى اساس هذا الكتمان وانطباع فكرتها بهذا الحديث «من عشق وكتم وعف وصبر فمات مات شهيداً ودخل الجنة» (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٧٥). تعتقد بأنها هي الوحيدة التي تستحق الجنان من دون مجنون الذي لم يصبر على كتمانه الحب وتقول:

بـــاح مـــجنون عـــامر بـــهواه ... وكـــتمت الهـــوى فـــمت بـــوجدي
فـــاذا كـــان فـــي القـــيامة نـــودي ... مـــن قـــتيل الهـــوى؟ تـــقدمت وحـــدي

(محمود حسن ابوناجي، الرثاء في الشعر العربي او جراحات القلوب، ص ٣٤٢).

٤. الإباء والعزة

انه قد يرى البعض ان العبودية عند المحبين ليست عيباً يكسر من أنفتهم وعزة نفوسهم. فاذا كان الرجل القوي المغوار ضعيفاً امام حبيبته واصابه السقم والضنى بسببها فانه فخار وعز له لا يفوقه عز سلطان. فالمحب يفدي حبيبته نفسها وان كانت هي البخيلة الممنعة في حبه ووصاله. وبذلك يشترط ابوهلال العسكري وقدامة بن جعفر في النسيب الممتاز القيم ان تكثر فيه الادلة على التهالك في الصبابة وافراط الوجد واللوعة، والخشوع والذلة وان يكون النسيب بريئاً من دلائل الخشونة وأمارت العزة والاباء. فحسب زعم هؤلاء ان العاشق يلتمس العز في استشعار التذلل، بل ان الاستكانة والهوان من سنة لا تبديل فيها للعاشق. يقول الحسن بن هانئ:

يـــا كـــثير النـــوح فـــي الدمـــن ... لا عـــليها بـــل عـــلى السكـــن
ســـــنة العشـــاق واحـــدة ... فـــــاذا أحـــببت فـــاستكن

ويعتبر شاعر آخر الذلة والهوان من طبيعة الحب حيث لابد منها في قوله:

ان الهـوان هـو الهـوى نـقص اسـمه فـاذا هـويت فـقد لقـيت هـوانـا
واذا هـويت فـقد تـعبدك الهـوى فـاخضع لالفك كـائناً مـن كـانا

وهناك من يتنازل عن تعززه بعقيدته الاسلامية ويدين بدين النصرانية متابعة لمحبوبه وفداء لحبه. ولا يخاف في سبيل ذلك عقاباً ابداً حتى ولو قيل له انه سيموت كافراً. يقول السيد مهدي البغدادي (ولد ١٢٧٧ق) متغزلاً:

وهـيفاء خـلف السـتر تـبدي بـوجهها الي وتـخفي مـرة خـوف راقب
تـنصرف لمـا قـيل أسـما تـنصرت ولم أخشى يوم الحشر حـد المعاقب
وقالوا عـلى ديـن النـصارى وكـفرهم تـموت فـقلت الحب خـير المـذاهب

(علي الخاقاني، شعراء الغري أو النجفيات، ج ١٢، ص ٣٢).

واكثر من ذلك انهم قد اعتبروا الموت في سبيل العشق من سمات العذريين البارزة. قال ابن قتيبة: «قيل لاحدهم: ممن الرجل؟ فقال: من قوم اذا عشقوا ماتوا. فقالت جارية: عذرى، ورب الكعبة» (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٤٦).

وقد اكثر شعراء الغزل من هذه المعاني في غزلياتهم يقول يزيد بن الطثرية:

أنـا الهـائم[٩] الصب الذي قـاده الهوى اليك فـامسى فـي حـبالك مُسـلما
بـرته دواعـي الحب حـتى تـركنه سـقيماً ولم يـتركن لحـماً ولا دماً

ويقول عبدالله بن طاهر:

نـحن قـوم تـلينا الحـق النـج ل، عـلى انـنا نـلين الحـديدا
طـوع أيـدي الظـباء تـقتادنا الـ عـين ونـقتاد بـالطعان الأسـودا
نـملك الصـيد ثـم تـملكنا البـى ض المـصونات أعـيناً وخـدوداً

(حسان ابورحاب، الغزل عند العرب، ص ٨٨).

والذين ماتوا عشقاً لمحبوباتهم كثير عددهم في الادب العربي امثال قيس بن ذريح وقيس بن ملوح وجميل بثينة وكثير وعروة بن حزام وغيرهم حيث نضرب الذكر عنهم صفحاً ونحيل القارئ الى ماكتبه السراج في مجموعة سماها: «مصارع العشاق».

وقد بلغ الامر غايته في تقديس قتلى الحب وعدهم من الشهداء في سبيل الله كقول الشاعر العذري جميل:

لكـل حـديث عـندهن بشـاشة وكـل قـتيل عـندهن شـهيد
يـقولون جـاهد يـا جـميل بـغزوة وأي جـهاد غـيرهن أريـد

(ابوالفرج الاصفهاني، الاغاني، ج ٨ / ١١٠؛ و ج ١٦ / ١٨٢).

وهناك قد اقترن مسلك العذريين بمسلك الزهاد الاتقياء واعتقد به البعض. قال الشيخ روزبهان الشيرازي في كتابه «عبهر العاشقين»: «من احرق بنار العشق فهو شهيد ومن قتل في سبيل الله فهو شهيد» (مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني مشهد، ش ١٤٤، بهار ٨٣، ص ١١٣).

وبهذا التعريف يدخل قيس في زمرة الشهداء الذين هلكوا من اجل الحب وهو حسب ما رواه صاحب الاغاني كان يقصد منزل ليلى الذي كان بيتها فيه فيلصق صدره به ويجعل يمسح خديه على ترابه ويبكي ويعود الى البراري وكانت امرأة تصنع طعامه وتأتيه به وجاءت يوماً الى الطعام فوجدته بحاله وجاء هله فطلبوه فلم يجدوه وغدوا في الربع يقتصون أثره فوجدوه في وادٍ كثير الحجارة خشن وهو ميت فاحتملوه فغسلوه وكفنوه ودفنوه فلم تبق فتاة إلّا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه واجتمع فتيان الحي يبكون عليه احر البكاء وينشجون عليه اشد نشيج (محمود حسن، الرثاء في الشعر العربي او جراحات القلوب، ص ٣٤٥).

لكن الامر ليس كما ذهبوا اليه ولم يقبل كثير من النقاد مذهب التهالك في الحب والخضوع والذلة كمقياس يعتمد عليه في الغزل العفيف او ما سموه بالعذري ولم يستحسن ذلك ايضاً عند الجاهليين، يقول فيه مصطفى عبد الواحد: «ان الموت لم يكن أمراً حسناً في النظرة الجاهلية، بل كان دليلاً على وهن العُقدة وضيق الروية فبامكان العاشق الجاهلي أن يتسلى بأخرى أو بناقة سريعة أو كأس من الصهباء» (مصطفى عبدالواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ١، ص ٢١).

ومثل هذا الانطباع كذلك بعيد عن الصحة من وجهة الفكرة الاسلامية لان الحديث الذي روي بهذا الصدد يختلف معناه عما تأولوه في الشعر العذري. ففي كتاب «الانوار

النعمانية» للسيد الجزائري عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: «من عشق وكتم وعف غفر الله له وأدخله الجنة» (حسن زاده آملي، رساله نور على نور، ص ٨٦).

ان المطلوب من العاشق المجاهدة والعفة والاستعصام والكتمان، لكن جميل وامثاله من العذريين لم يعفوا في الامتناع عن النظرات المسمومة والاجتناب عن الخلوة المريبة ولم يكتموا سرهم وابانوا حبهم واثاروا الغيرة والفتنة والفضيحة، الى جانب تذللهم وخشوعهم المفرط لغير الله فليس لمثل هذا العاشق اجر الشهيد وغفران الذنوب ودخول الجنة.

ان التهالك في الحب والتذلل والتتيم لا يجوز إلّا الله عز وجل. ففي رواية عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال: «خرج علي (عليه السلام) يسير بالناس حتى اذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدم بين أيديم حتى طاف بمكان يقال له: «المُقَدفان» فقال (عليه السلام): «قتل فيها مائتا نبي ومائتا سبط كلهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم» (المصدر نفسه، وبحار الانوار، ٤١ / ٢٩٥).

ففي هذا الحديث ذكر عشاق الحق ومصارعهم. وليس مصرع كل عاشق مصرع شهيد كما اختلط لبعض المتصوفين انه من مات بداء العشق الالهي فهو شهيد يقول يحيى بن معاذ:

امـــوت بـدائـي لا أحب مـداوياً ... ولا فـرجاً مـما أرى مـن بـلائياً
اذا كـــان داء العـــبد حب مـليكه ... فـمن دونـه يـرجـو طـبيباً مـداويـا
مـــع الله يُـــمضي دهـره مـتلذذاً ... مـطيعاً تـراه كـان أو كـان عـاصيا
يـقولون يـحيى جـن مـن بـعد صـحة ... ومـا بـي جـنون يـا خـليلي مـا بـيا

(مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الادب العربي، ج ٢، ٣٩٨).

انه يفضل الموت على الشفاء والبلاء على الفرج، بينما نرى من سيرة الأئمة عليهم السلام انهم يفضلون ما يفضل اللهم لهم ويرجون الصبر والفرج والعافية لكل بلاء. ان الامام السجاد (عليه السلام) يسأل الله تعالى في دعاء «مكارم الاخلاق» بقوله: «وعمرني ماكان عمري بذلةً في طاعتك فاذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني اليك»، وفي موضع آخر

يدعو (عليه السلام) قائلاً: «فامنن عليَّ قبل البلاء بالعافية... وأصلحني بكرمك وداوني بصنعك». فالذي ذهب اليه امثال هؤلاء الصوفيين منحرف عن سنن الاسلام والعشق الحقيقي.

هذا وينبغي الاباء والعزة للعشق الارضي من دون الله تعالى. فلا يعاب من اعتز بنفسه تجاه الحبيبة المعتزة بنفسها والمتمنعة من وصالها ولا يذم من قطع الصلة عفافاً من العشيقة التي يئس من الزواج بها فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الذين يستعفون اذا لم يجدوا نكاحاً. يقول الاحوص من شعره:

فـــان تـــصلي أصـــلك، وان تـــبيني ... بـــصرمك قـــبل وصـــلك لا أبـــالي
وانـــــي للـــــمودة ذو حـــــفاظ ... أواصـــل مـــن يـــهش الى وصـــالي
وأقـــطع جـــبل ذي مـــلق كـــذوب ... ســـريع فـــي الخـــطوب الى انـــتقال

(احمد بدوي، اسس النقد الادبي عند العرب، ص ١٦٨).

النتائج العامة للبحث

١. لم يكن الغزل يشجع عليه في صدر الاسلام ولم نجد له اثراً في ادب اهل البيت (عليهم السلام)، وذلك لما فيه من علاقات سلبية في نشوء الحب بين الرجل والمرأة. كما ان الغزل تحددت عوامل نشأته بتحذيرات وقائية في الدين من كيفية النظر والحديث والستر والخلوة والصداقة و...

٢. ان للحب مراتب فاذا بلغ مرتبة العشق فهو مذموم كما تنم عن ذلك الاحاديث الشريفة، لان العشق درجة رفيعة من الحب الذي يتيم العبد تجاه معبوده وهذا لا يصلح إلّا لمن فيه الكمال المطلق وهو الله تعالى.

٣. ان التهالك في الحب بين العباد شرك. ومقاييس الوفاء والصدق والاستشهاد في سبيل العشق وتبريره بانه تقدير لا يمكن الانفلات منه و... مما لم يؤيده الدين بخلاف ما يعتقده هواة العذريين. وهذا ما أثبتناه خلال البحث.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن ابي الحديد؛ ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد معتزلي، شرح نهج البلاغة، ٢٠ جلد در ١٠ مجلد، انتشارات كتابخانه آيت الله مرعشي نجفي قم، ١٤٠٤ ق.

٣. ابن شهر آشوب، رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المازندراني، (م ٤٨٩ ق)، المناقب، ٤ ج، مؤسسة انتشارات علامة، قم، ١٣٧٩ ق.

٤. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ٢ ج، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٤ م.

٥. ابو رحاب، حسان، الغزل عند العرب، مطبعة مصر، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٣٦٦ هـ ق ـ ١٩٤٧ م.

٦. ابو الفرج الاصفهاني (٣٥٦ ق)، الاغاني، ٢٤ ج، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٧. ابو ناجي، الدكتور محمود حسن، الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠١ ق، الطبعة الثانية ١٤٠٢ ق.

٨. احمد حسن بسبح، قيس بن ذريح، شاعر العفّة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٥ ق ـ ١٩٩٥ م.

٩. احمد صابري الهمداني، ادب الحسين وحماسته، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ هـ ق.

١٠. امام علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، ١ ج، انتشارات دار الهجرة، قم.

١١. اميني؛ الشيخ عبد الحسين الاميني، الغدير، ١٢ ج، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧ ق.

١٢. بدوي، احمد احمد، اسس النقد الادبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة،

١٩٦٤م.

١٣. حسن زاده آملي، حسن، رساله نور علىٰ نور، در ذكر وذاكر ومذكور، انتشارات تشيع، قم، چاپ صدر، چاپ سوم، بهار ١٣٧٤ ش.

١٤. الخطيب البغدادي، احمد بن علي أبو بكر (م ٤٦٣ ق)، تاريخ بغداد، ١٤ ج، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥. دشتي، محمد، نهج الحياة (فرهنگ سخنان فاطمه)، نشر مؤسسه تحقيقاتي امير المؤمنين (عليه السلام)، قم، ويراستار: سيد محمود علوي، چاپ اول: مهر ١٣٧٢ ش، چاپ چهاردهم: زمستان ١٣٧٥.

١٦. السيد الشريف الرضي، ابو الحسن محمد بن الحسين، ديوان الشريف الرضي، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الاسلامي في ايران، الطبعة الاولى، رجب ١٤٠٦ هـ ق.

١٧. السيد الشريف الرضي (م ٤٠٦ ق)، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ١ ج، شرحه محمد رضا آل كاشف الغطاء، الناشر: دار المهاجر، مطبعة دار الهجرة، بيروت.

١٨. الشيخ الصدوق (م ٣٨١ ق)، علل الشرايع، ٢ ج، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦ هـ ق ـ ١٩٦٦ م.

١٩. الشيخ الطوسي (٤٦٠ ق)، المبسوط في فقه الامامية، ٨ ج، تحقيق: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٨٧ هـ ق.

٢٠. شيخ طوسي (م ٤٦٠ ق)، مصباح المتهجد، ١ ج، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ١٤١١ هـ ق.

٢١. الطبرسي؛ امين الدين ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (م ٥٤٨ ق)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٠ ج (خمسة مجلدات)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ ق.

٢٢. طه حميدة، عبد الحسيب، ادب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجري، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٨ ق ـ ١٩٦٨ م.

٢٣. عبد الواحد، الدكتور مصطفى، دراسة الحب في الادب العربي، ٢ ج، دار المعارف بمصر.

٢٤. علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، ١ ج، دفتر نشر الهادي، چاپ اول.
٢٥. علي الخاقاني، شعراء الغري او النجفيات، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة بهمن، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.
٢٦. محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، ٧ ج، چاپ سوم، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١ م.
٢٧. محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر بدمشق، الطبعة الاولى، ١٤١٧ ق ـ ١٩٩٦ م.
٢٨. محمود بن الشريف، الحب في القرآن، بيروت، لبنان.
٢٩. محيي الدين الجنّان، مأمون بن محيي الدين، مجنون ليلى بين الواقع والأسطورة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٥ ق ـ ١٩٩٥ م.
٣٠. محيي الدين، مأمون بن محيي الدين، جميل بثينة الشاعر العذري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤ ق ـ ١٩٩٣ م.
٣١. ميخائيل مسعود، جميل بن معمر شاعر الحب العذري، دار الكتاب العالمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤ ق ـ ١٩٩٤ م.
٣٢. يوسف اليوسف، الغزل العذري دراسة في الحب المقموع، دار الحقائق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.
٣٣. مجلة دانشكده ادبيات وعلوم انساني، دانشگاه فردوسي مشهد، تخصصي زبان وادبيات (علمي وپژوهشي)، مهدي ستوديان ـ محمد مهدي ناصح، شماره ١٤٤ ـ بهار ١٣٨٣.

الهوامش:

١. ان الاسلام قد وقف من النظرة وقفة وقائية حاسمة لا لذاتها بل لما يترتب عليها من تهييج الاحاسيس وعدم السيطرة على النزوات الشبقية وانها سهم مسموم من سهام الشيطان لا يسلم منه احد عدا من احتفظ بنفسه وغض من بصره، وفي ذلك نرى ان الله تعالى، من جهة، يحذر عباده من خيانة الأعين بقوله (يعلم خائنة الاعين) (غافر / ١٩). ومن جهة أخرى انه يشجع على غض الأبصار بقوله: (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم...). (النور / ٣٠) وقوله تعالى: (قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن...) (النور / ٣١). فان النظرة لو كانت عابرة لا تركيز فيها في تبادل النظر بين الرجل والمرأة كاد ان يستحيل نشوء الحب المغري بينهما. والعشق الذي هو شدة الحب لا يقع في اول نظرة إلّا بعد إدمانها والاستمرار فيها مما يمكّنه في القلب. قد تفطن الدين لهذه الخطورة فقال النظرة الاولى لك والثانية عليك. جعل الاولى حلالاً لأنها عابرة غير متركزة، وجعل الثانية حراما لإثارتها الفتنة. وعليه ان النظرة لو كانت عابرة غير محدّدة وغير مدمنة ما كان الشاعر الغزِل يتمكن من الإشادة بصفات المرأة الجسدية بدقة وظرافة ولم تكن تنتهي الى حد الإشراك او الرفض لمنهيات الدين. وهكذا يتبين السبب الطبيعي لنشأة عاطفة الحب في كثير من الغزليين المتهالكين في الحب، كالذي نجد منهم في تَغزل كثير ـ شاعر المجون ـ بعزة، في انه كان يرعى الغنم، ومر بنسوة من بني ضمرة فسألهن عن الماء، وكانت هاديته الى الماء عزة، فنظر الى جمالها وحسنها نظرة الريبة فاعجب بها وشغف حباً مما ادى الى تحرك شاعريته بادئ ذي بدء بابيات اولها:

نظرتُ إليها نظرة وهي عاتق...
فأمر النظر بريبة، مسألة جذرية في تسبب التهاب الحب والجوى حيث امتنع الغزل بامتناع النظرة المحرمة او المكروهة شرعياً في عهد النبوة.

٢. واما ما ورد في النهي عن الصداقة الشائبة فانه قول الامام الصادق (عليه السلام) «واما كل خلة كانت في الدنيا في غير الله عز وجل فإنها تصير عداوة يوم القيامة إلّا المتقين» (علي بن ابراهيم قمي، تفسير قمي، ج ٢، ص ٢٨٧)، في تفسير قوله تعالى: (الاخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين). كما انه قد نهى النساء من ان يتخذن لانفسهن اخداناً يتبادلن فيما بينهم الحب قبل الزواج في قوله تعالى: (غير مسافحات ولا متخذات أخدان). (النساء / ٢٥) وكما نعلم ان هذه النوازع الدينية والاجتماعية لم تصدر إلّا لإحتواء الغريزة الشهوانية عند الانسان، وقد ثبت بالتجربة ان العشق وبالتالي التغزل حصل بمثل هذه المواعيد والاجتماعات السرية التي خمدت باجتنابها نار العشق والهوى وضعف الغزل بالإنتهاء عن تلك النواهي في صدر الاسلام. ولكنه قد استردّ الغزل نموّه ثانية بعد انحراف لهم عن الدين وبعد ان اتخذوا القرآن مهجوراً.

٣. التزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجفّ لسانه. العلل: الشرب تباعاً.

٤. قال العلامة الاميني: إن مستهل هذه القصيدة ليس كل ما ذكروه فإنها مبدوءة بالنسيب، ومطلعها:

تـــــجاوبن بـــــالارنان والزفـــرات نـــواتـــح عـــجم اللـــفظ والنـــطقات

قال ابن القتال في «روضته»: ص ١٩٤، وابن شهرآشوب في «المناقب»: ج ٢، ص ٣٩٤. وذكرها برمتها وهي مائة وعشرون بيتاً الإربلي في «كشف الغمة» والقاضي في «المجالس» ص ٤٥١ وروضة الواعظين، ابن القتال النـــابوري، ص ٢٢٦ و٢٢٧؛ ومن تلك الابيات كما جاء في البحار: (ج ٤٩، ص ٢٤٦)

يـــخبرن بـــالانفاس عـــن ســـر أنـــفس أســـارى هـــوى مـــاضٍ وآخـــراتِ
فأســـعدن او أســـعفن حـــتى تـــقوضت صـــفوف الدجـــى بـــالفجر مـــنهزمات
عـــلى العـــرصات الخـــاليات مـــن ألمـــها ســـلام شـــج صب عـــلى العـــرصات
فـــعهدي بـــها خـــضر المـــعاهد مألفـــاً مـــن العـــطرات البـــيض والخـــفرات
ليـــالي يـــعدين الوصـــال عـــلى القـــلى ويـــعدى تـــدانـــينا عـــلى الغـــربات
وإذ هـــن يـــلحظن العـــيون ســـوافـــرا ويـــسترن بـــالايدي عـــلى الوجـــنات
وإذ كـــل يـــوم لي بـــلحظي نشـــوة يـــبيت بـــها قـــلبي عـــلى نشـــوات

والى آخر الابيات....

٥. الهضم: لطف الخصر وضمور البطن.

٦. الهم في اللغة على وجوه: منها العزم على الفعل كقوله تعالى: (إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم). أي ارادوا ذلك وعزموا عليه. ومنها خطور الشيء بالبال وإن لم يقع العزم عليه كقوله: «إذْ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما» يعني ان الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم ههنا عزماً لما كان الله وليهما لان العزم على المعصية معصية، ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه وآله السلام. ومنها الشهوة وميل الطباع. مجمع البيان للطبرسي، ج ٥، ص ٣٤٥ و٣٤٧.

٧. العنم: شجرة حجازية لها ثمرة يشبه بها البنان المخضوب.

٨. الأرى: العسل؛ الرذم: السائل من كل شيء.

٩. ان من مراتب الحب الذي يخل بالعقل وهو مذموم ما يكون بعد التتيم، مثل التبل والتدلّه وهو ذهاب العقل من الهوى، ثم الهيام وهو ان يهيم المحب على وجهه لغلبة الهوى. راجع: جميل بن معمر، ص ١٩.